

## رياح كانون

### رواية بقلم فاضل السباعي

\*\*\*

ان تحليل العمل الادبي لا بد من ان يخضع للمعلومات الاساسية التي ينطلق منها الدارس باعتبار ان عملية الحكم هي في جوهرها منطلق تقييم ، وكل تقييم هو صورة بناء جديد قوامه الصيغ الفكرية والحيوية والاجتماعية التي يؤمن بها الكاتب . ولكن هذا لا يعنى ابدا ان النقد الادبي مجرد تعبير فردي عن موقف خاص لانسان ما ، باعتبار القيم الاخلاقية والفكرية والاجتماعية والجمالية تشكل لنفسها مساراً يؤثر بالافراد ويتأثر بهم . ومن هنا يمكن الانسجام مع البيوت في تحديده لمهمة الناقد ، ولكن مع شيء من التجاوز ، اذ ان مهمة الناقد - كما يقول البيوت - مزدوجة - احد طرفيها ( توضيح الفن وتصحيح النواق ) وطرفها الثاني اعادة العمل الادبي الى الحياة ، اما ( ادوات الناقد التي يحقق بها هاتين الفأيتين ) فهي ( المقارنة والتحليل ) ( ١ ) .

وليسمح لي الاستاذ فاضل السباعي بالتبويه الى انني ساقصر في مهمتي هذه على التحليل ما امكن ، وذلك لانني اريد تجسيد تلك الصورة التي يشكلها عن « رياح كانون » من خلال تلك النظرة الثاقبة التي طرحها لورنس داريل في ربايعته الاسكندرانية حين اكد في « جوستين » قائلا : « وفي مكان ما في قلب التجربة هناك نظام وانسجام نستطيع ان نلمسه اذا انتبهنا انها كافي ، واحبنا حيا كافي ، وصرنا صبرا كافي » ( ٢ ) ، ومن هنا يتضح لنا ان تجاوز « الشكل » في العمل الادبي لا يعنى سوى التأكيد على « المضمون » وبالتالي فان اكل تجربة ادبية اعادها وافرارها مهما كان حظها من الابداع في ميزان الناقد النصف .

ولكن هناك ملاحظات لا بد لي من ان اسوقها قبل المباشرة الفعلية في التحليل ، وهذه الملاحظات تتعلق ب « رياح كانون » من حيث اداة التعبير ، مع ان هذا يرتبط بالشكل الى حد بعيد ، فالاستاذ فاضل السباعي ، بلوح لنا وبكل وضوح ، ذلك الروائي الذي يتمتع بأسلوب فريد في نوعه ، بدهشته للأسلوب المتصلب ومقته للملافة ورفضه للصنعة الادبية ، لذا نجده يميل الى جانب النقل المباشر للاحداث ، ولكنه في الوقت نفسه يؤكد على الاكثار من وجهات النظر ، سواء عن طريق بطله رامى حسام الدين الذي يسرد لنا حياته الشخصية بضمير الغائب ، او عن طريق الشخصيات الاخرى التي تتجاوز آراء ووجهات نظر مختلفة . وهذه الملاحظات لا اعنى بها تقسيما سلبيا ل « رياح كانون » ، وانما اعنى تقرير واقم وتحديد موصفات تتمتع بها الرواية ، موصفات اميل اليها واتعاطف معها بالقدر الذي تسمح للكاتب القدرة على ترجمة احساسه وأفكاره وصياغة مواقف ونظراته .

الا ان كل ذلك يقودنا الى طرح السؤال التالي : ما قيمة الرواية من حيث البناء الفكري والوعى الفنى القادر على رصد المجتمع واشكالاته وتازماته ؟

والاجابة على ذلك ، لا بد لنا أولا من اعطاء فكرة سريعة عن خط الأحداث في الرواية حيث نجد انفسنا امام الناقد الادبي رامى حسام الدين ، الذي يجمع بين مزاولته النقد الادبي وتعاطي مهنة

الصحافة ، ويتعرف في ذلك على فتاة مثقفة تعمل مؤهل ب. ع. في الادب الانكليزي من الجامعة الاميركية في بيروت . . ففي احدى المحاضرات يتعرف رامى بلبنى آل الامير ، التي لا تلبث ان تبدي اعجابها البالغ بقدرته النقدية ، وتأخذ منه موعدا لتعرض عليه مخطوطة روايتها الاولى . . وهكذا تنال اللقاءات ، ويشرع رامى بتشجيعها لانه الى على نفسه ان يجعل منها « اديبة كيبسرة » . وبالفعل يبدأ بتقحيح فصول روايتها ، ويتعاهد مع احدى الطابع لتكون الرواية في حيز الانجاز بعد بضعة عشر يوما ، ومن ثم تودعه هو واصدقاه اعضاء النادي الادبي لتسافر الى بيروت وتقوم بمهمة توزيع الرواية . . وتلاقي في بيروت نجاحا باهرا ، فتتحدث عنها الصحف والمجلات ، وتعود الى مدينتها مكلفة بفار النصر . . ومن ثم تنتهي الرواية من حيث ابتدأت ، اذ يعمد رامى الى تسجيل مذكراته عن خصم الأحداث التي مر بها ابان تعرفه على لبنى وحبه لها ، لتلد « رياح كانون » .

ومع ان الرواية تقترب الى حد بعيد من المسرح الذهني ، اذ يأخذ الحوار فيها مجالا واسعا ، فهي في الوقت نفسه تشير الى اكثر من مشكلة وتطرح اكثر من ازمة ، الا ان كل تلك المشاكل لا تطرح الا طرحا جانبيا ، فلا يكاد يمسها السباعي الا مساحيقا ، ولكنه مع ذلك يرتبط بالواقع ، اذ ان تسلسل الأحداث يكاد يؤكد لنا انه ينتزع شخوصه من اناس يعرفهم ، فيعمد دائما الى انتشال شخوصه من حوله كما فعل ارنست همنغواي في « الشمس تشرق ثانية » . ولكن لا بد لنا من التوضيح بان ( هذا الخطف او الانتزاع ليس اول تجربة فنية يمارسها فنان ، فان شرود اندرسون بدأ أولا بالاشخاص الذين كانوا يقطنون معه في منزل واحد وسمح لذكه ان ينطلق بحرية ) ( ٣ ) .

وبما انه مرتكز في تجربته الروائية على صخرة الواقع فسان البطل عنده يأخذ مدولا خاصا . . ينطلق من نقطة تحرك البطل ضمن عالم مؤطر ، بشكل لا يتأثر فيه بموروثات الماضي البائد ولا يتوقف عند عتبة المستقبل وما قد يخبره فيه من عناصر مأسوية لا يكسده يتحسسها السباعي في روايته الا من طرف خفي لا يحمل في ثناياه جوهر المأساة ، وكل ما هنالك ان رامى حسام الدين يتحسس (دوتيته) ازاء هذه الفئاة الارستقراطية الموشحة بعبير الجمال ، ثم لا يفتأ يعقد مقارنة ضمنية بين تركيبه الطبقي البائس وتركيبها الطبقي المرشح لارفع المناصب ، حتى ان والدها يقود في النهاية وزيبرا مرموقا . ولكن هذا التثبيت بمعطيات الواقع لا يمنع السباعي من ان يمتح من رحيق الاسطورة ، ولا اعني هنا الاسطورة التاريخية بل قدرة ابطاله على الحدس حين يبرز عنصر « الكهانة » لدى بهاء الدين عاشور في اكثر من موقف ، ولكن كهانته تلك لا تكسبه سوى احتقار رامى ولبنى معا .

واذا ما اتفقنا مع سارتر على ان « وظيفة الكاتب ان يسمي الهر هرا ، واذا كانت الكلمات مريضة ، فمن واجبنا نحن ان نشفيها » ( ٤ ) ، اقول اذا ما حددنا وظيفة الكاتب بترجمة قضايا الواقع وتجسيد أحداثها لتحليلها ووضع الحلول اللازمة لها ، فاننا نجد فاضل السباعي هو الآخر لا يفتأ يؤكد على هذه المسلمة ، ولكنه يكتفي بمسها دون الفور في اعماقها ، ولعل محاولته في الفوص عن طريق الحوار الذهني المفتوح الذي كان يدور في النادي الادبي او في منزل رامى بين لفييف من الشباب المثقف لم يمكن الكاتب من استحلاب جوهر الفكرة التي كان يعمد وراها ، انه نقل لنا صورة حوار فقط . . حوار مسبوك وفق صيغ فكرية وقوالب نظرية ارادها المؤلف بالضبط كما اراد ان يقول لنا : « لم اغادر سريري ، لا عن مرض ،

( ٣ ) « ارنست همنغواي » ، ص ١٠٩ ، كارول بيكر .

( ٤ ) « الادب الملتزم » ، ص ٢٩٠ ، جان بول سارتر .

( ١ ) انظر « النقد الادبي » لسنانلي هايمان .

( ٢ ) « جوستين » ، ص ٢٥٥ ، لورانس داريل .

ولكن من خليط من المشاعر يتناهي ، غريب حقا « (٥) .

ولنعد الى المشاكل التي طرحها في روايته أو مسها مسسا خفيفا . ولعل كثرتها حالت دون تحليلها أو تجسيدها . فهناك مشكلة الزواج ، وأزمة الجنس ، وأزمة الجيل ، والتفاوت الطبقي ، والحب ، والسياسة ، والأسرة وتركيبها ، والآباء البنون ، والابداع الفني ، والادب والادباء ، ومشكلة الوقت بالنسبة للكاتب ، ومأساة الادب المراهق . . . الى آخر ذلك الخط الطويل وبشكل تلفي فيه أنفسنا حيال لوحات ضئيلة متلاحقة . الا ان هذا لا يعني أبدا انه لم يقل شيئا ، فنراه يجسد لنا مأساة الانسان الفنان ، مأساة حملة القلم ، قائلا على لسان صديقه الروائي فوزي الجاهد : « انا الكاتب الذي يشقى في هذا الوطن البعيد ، أي مكافأة تنتظرني ؟ مبلغ زهيد يؤديه لي ناشري على مفض ، ثم يقص عملي ، وأغوص في بحر النسيان » (٦) .

ولكن أزمة الادب لا تقف عند هذا الحد ، بل انها تؤدي بالادب ورواده الى الهاوية ، فهذا « حازم ضيا » يتوقف عن الكتابة ليستغل وقته بالتدريس ويدخر مبلغا يشتري به « قنا » لطفاله . . انه يدرس الادب في سبيل ايجاد السكن لاسرته .

والمأساة نفسها تكرر أبدا . الا اننا لا نكاد نقف على لوحة أكثر روعة ونبضا بالحياة واحساسا بالالم من تلك الفقرة التي ترد على لسان فوزي الجاهد حين يقول في معرض حوار مع أصدقائه : « بسمة ، بنت الاعوام الثلاثة ، طلبت الي ان اشتري لها سوارا من ذهب ، لان زميلتها في « روضة الاطفال » أصبحت ذات سوار

(٥) « رياح كانون » ، ص ٣٦٢ ، وهي طبع بيروت ، ونشر دار القصة العربية بحلب .

(٦) « رياح كانون » ، ص ٢٣٧ .

## بيان

جاءنا البيان التالي :

صدر مؤخرا ، سهوا وعن غير قصد ، عن دار احياء التراث العربي ، طبعة خاصة من :

## ديوان الاخل

تحقيق الاب انطوان صالحاني

وهذا الكتاب ملك دار المشرق (المطبعة الكاثوليكية) بيروت . وقد تم الاتفاق بين دار احياء التراث العربي ودار المشرق بيروت ، على اعادة جميع النسخ المطبوعة الى صاحبة الحق دار المشرق .

قدمته لها أمها في عيد ميلادها . وإيمان ، تسألني لماذا لا اشتري سيارة خاصة كسيارة صاحبة البناية ؟ قلت لها : « ما عندي ثمنها يا حبيبتي ! » ، قالت باستغراب : « ولكن أنت ، يا بابا ، أحسن من كل الناس . . أنت تؤلف كتابا ! » ، قلت : « لهذا السبب عينه لا أملك مالا اضافيا » ! « (٧) .

وكان الاستاذ فاضل السباعي يريد أن يؤكد لنا بأن الادب غدا بمثابة لعنة على الاديب ، ما دام عاجزا عن اقتناء بيت له ، وما دام عاجزا عن امتاع أطفاله واطعامهم ، وما دام عاجزا عن تحقيق العيش الكريم . . كل ذلك لانه اديب . . لانه يناضل في سبيل مجتمعه ، ولانه يعني لشعبه ، ولانه محكوم بان يبقى مدانا ما دام ادبيا ! لذا ليس أمامه ثمة مجال سوى القناعة بجوعه وفاقته ، أو الزوف عن الادب لغرض غمار الحياة ومعتزها اللاهف بحثا عن لقمة العيش . واذا كان حازم ضيا قد قرر الاستسلام للواقع ، فان فوزي الجاهد -الذي اعتقد انه صورة عن فاضل السباعي - وكذلك رامي حسام الدين قد اصرا على متابعة المسير . . فهذا فوزي يكب على انجاز رواية طويلة . . وذلك رامي يقرر في آخر الرواية ، وبعد ضياع طويل في دوامات الارق وصراع مستمر بين الحب والفكر والواقع ، أن يتخذ موقفه النهائي من فئاتنا المنفاج التي خلق منها أدبية من صنع قلمه ، فيحزم أمره على الفراق : « لنمض في دربها وحدها . لن أهيل على صيتها ، الذي بلفته بفضلي ، ترابا . انني اقوى . لتبحث لها عن مزيف لرسالة الادب غيري ! » و « ساكتب الليلة فصلا . وغدا الجمعة فصلين . . ساجعل الرواية من ثلاثين فصلا أو أربعين أو خمسين . . ان في نفسي رياحا ما تسكن ابدا » (٨) .

واذا كان لا بد من التساؤل ، أخيرا ، عما اذا كانت الرواية قد حققت اغراضها الفنية والفكرية ، فلا بد من الاجابة على ذلك بنعم ولا معا . ذلك ان فاضل السباعي حاول جهده اداء المهمات التي كان يرمي الى تحقيقها منذ الصفحات الاولى ، فنجح مرة وأخفق أخرى . ولعل ملامح النجاح تبدو أكثر ما تبدو في القدرة الفائقة التي يتمتع بها في السرد الروائي ، وفي عرض وجهات النظر المختلفة ، وقيادة الحوار من خلال المواقف المتضاربة . الا انه مع ذلك ترك نفرة كبيرة في بناءه الروائي ، فالقارئ يخرج من الصفحات التي تنوف عن ال . . وهو يسائل نفسه : ترى ماذا يريد المؤلف ؟ فلقد عرض علينا مواقف وطرح آراء وأبرز نقاطا غاية في الاهمية ، الا انه أخفق في تحقيق عنصر التركيز على شيء ما . . على موقف ما . . وانما اكتفى بالللمحات الخاطفة والللمسات الخفيفة . ومع ذلك لا يسعنا الا التأكيد بان فاضل السباعي قد وضع لبنة جديدة في الرواية العربية السورية ذات الطابع المحلي الخالي من تعقيدات ودوامات التركيب الفكري للرواية المعاصرة في العالم .

محمد الراشد



## الكهف

رواية للاستاذ محمد جلال

\*\*\*

اختار الاستاذ محمد جلال لروايته الجديدة « الكهف » فترة زمنية حافلة بالاحداث مليئة بالتناقضات ، تصطبغ بشتى الاتجاهات السياسية والفكرية ، هي فترة خواتيم الاربعينيات من هذا القرن ، هذه الفترة العاصفة من تاريخ مصر المعاصر .

(٧) « رياح كانون » ، ص ٢٣٢ .

(٨) « رياح كانون » ، ص ٤٣١ - ٤٣٢ .

والواقع انها تعد من هذه الناحية وثيقة تاريخية هامة ، تؤرخ لهذه المرحلة ، وخاصة ، والكاتب قد عاصر الاحداث ، واكتوى بنارها ، بل وشارك أحيانا في صنعها ، مما يجعلنا نرى انها تجربة ذاتية للمؤلف ، فلا غرو ان خرجت الرواية نابضة بالصدق ، مفعمة بالحيوية ، فالرواية تعرض لحياة طلبة الجامعة ، وكفاحهم السياسي في هذه المرحلة ، بكل ما فيها من حماس الشباب وثورته ، وتطلعه نحو حياة افضل ، فاذا كانت السياسة في هذا الوقت خليطا من التناقضات ، بحيث تضع الرؤية الصحيحة وسط تزاحم الاحداث واصطحابها ، فقد كانت الصورة التي رسمها المؤلف منطبقة تماما على الواقع السياسي لهذه الايام .

والرواية في حقيقة الامر ، عبارة عن مجموعة من القصص تصور كل واحدة منها حياة احد ابطال هذه الرواية ، مع وجود هذا الخط الدقيق الذي يربط بين هذه المجموعة من القصص ، ويجعل منها في النهاية هذه الرواية التي تحت ايدينا الان .

فتحن نطالع فيها مثلا قصة احسان ، الصحفي الأجور ، عميل القصر ، بعلاقاته النفعية ، بأشجان من جهة ، والقلبان من جهة اخرى ، وبالحشن في النهاية ، واستعداده التام لبيع نفسه للشيطان في سبيل الحصول على الترفيات ، وصنع حياة مترفة على حساب بيع الشباب الوطني للقصر ، وما يسود هذه الحياة من انتهازية تمكنه من بلوغ مآربه عن طريق اتصالاته الكثيرة المشبوهة ، هذا النموذج عاش في هذه الفترة ، وكانت له قصته في هذه الرواية .

وأشجان : الفتاة القروية التي هبطت القاهرة لتعمل خادمة ، والتي سرعان ما جرفت حياة المدينة بعد اتصالها باحسان الذي مكنتها من الوصول الى الجامعة ليحضر منها عميلة له تنقل اليه اسرار الطلبة ، بينما هو يمثل عليها دور العاشق الولهان ، والتي تفيق في النهاية وتنسبه للفتح الذي نصبه لها احسان ، فتثور عليه ، وتتجه بعواطفها نحو صابر زعيم الطلبة وأحد الوجوه المشرقة وسط هذا الظلام ، وتقرر العودة الى القرية حيث الهواء النقي الذي حرمت منه وسط زحام المدينة ، وحياتها البراقة ، والخائفة في ذات الوقت .

كما تطلعننا أيضا قصة ( الحشن ) هذا اللمي السياسي ، الذي استطاع أن يلعب بانتهازية دور المكافح الثوري ، وهو أبعد ما يكون عن ذلك ، والذي سرعان ما يغير جلده ، ويعود الى حقيقته كأحد العملاء الأجورين ، فيرتقي تحت أقدام احسان ، ليتمكن من الوصول الى قلب أشجان .

ومن القصص التي أبدع الاستاذ جلال - بحق - رسمها القصة ( القلبان ) ، هذا المثقف البائس الذي لم تتعرف هذه الحياة الاجتماعية الزائفة بعقليته ، فقذفت به برغم كل ثقافته ووفرة اطلاعه على أحد المساجد لتجعل منه خادما ومؤذنا وخطيبا نظير قروش معدودات ينفق منها على زوجه واطفاله ، والذي يضطر تحت ضغط الحاجة الى بيع قلمه لاحسان الذي ينقده بضع جنيهات في مقابل ما يكتبه له من مقالات بليغة ، والذي تمكن بفضل توصية احسان أن يعمل موظفا بوزارة الاوقاف ، وينتقل الى زمرة « الأفندية » .

ومن الشخصيات التي وفق الكاتب كذلك في تصويرها شخصية « دعيس » المطرب القروي الذي غادر قريته ليحضر حظه في القاهرة ، والذي تمكنه أخته أشجان عن طريق صديقها احسان من الشهرة وبلوغ ميكروفون الاذاعة ، والذي سرعان ما يترك فنه الريفي الاصيل ، فيفني الاغنيات الراقصة والخفيفة ، فتتهافت عليه سيدات الطبقة الراقية ، ويتبارزين فيما بينهن على انفوز به كمشيق .

ويرسم الاستاذ المؤلف عدة صور صادقة للشباب الثوري في هذه المرحلة ، كشخصية صابر ، الشاب الوطني المكافح ، الذي يتزعم الطلبة عن جدارة ، والذي يضم حبا دينا لأشجان ، وكذلك الشباب منير عبد اللطيف ، هذا الصحفي الشريف الذي يشرع في تأليف كتاب أسود لفضح مساوئ هذا العهد البائد ، والذي يقبض عليه بعد ان

أبلغ عنه احسان بعد أن عرف عن طريق أشجان فكرة اصداره للكتاب الاسود ، والذي يرفض الهرب بعد أن اتاحت له قرصته ، مفضلا البقاء في السجن ، متحديا زبانية هذا العهد ، كما يحسن المؤلف تصوير زوجة هذا البطل التي تصحى بحياتها الارستقراطية لتعيش حياة بسيطة الى جانب هذا انكاتب الحر ، وهناك أيضا من الشخصيات الثورية الشباب فاضل صانع التفجرات .

وهكذا استطاع الكاتب من خلال هذه الشخصيات المرسومة بدقة ، أن يعرض لنا شريحة كاملة من المجتمع المصري فيما قبل الثورة ، ممثلة في هذه المجموعة من شباب الجامعة ، ومن يتصل بهم من افراد هذا المجتمع .

والواقع ان أول ما يلفت النظر في هذه الرواية ، بعد توفيق الكاتب في اختيار موضوعها ، والفترة الزمنية التي تعالجها ، هو دقة انكاتب في رسم الشخصيات ، فأبطال الرواية مرسومون بمهارة ، بحيث استطاع الكاتب - بحق - أن يجعل منهم آدميين أحياء ، يعيشون ويتنفسون ، وثنين ملامحهم من خلال صفحات هذا الكتاب . وربما كان توفيق الكاتب في هذا الصدد يرجع الى انه قد التفت شخصياته من الواقع ، فالشخصيات - كما يبدو - شخصيات حقيقية عاشت في المجتمع في سنوات ما قبل الثورة ، واتصل بها المؤلف وعرف دقائق مشاعرها وأحاسيسها ، فأحسن تصويرها .

خذ مثلا شخصية « احسان » : أن انكاتب يرسم صورها بمهارة ، من خلال اتصالاته المشبوهة ، وعلاقاته المتشابكة ، انه يستطيع بعبارة بسيطة تصدر عن لسانه أن يجسمه لنا بشرا حيا ، بكل ما فيه من وصولية وخسة « لا مانع من بعض التنازلات في سبيل الوصول الى هدف أكبر » - « الدنيا مصالح يا أشجان » . ان أشجان تصور انه يحبها ، ولكن كل ما يهمه منها في الواقع هو المعلومات التي تمده بها ، انها تستغزرجولته بحديثها المشوب بالاعجاب عن صابر ، وتتمنى « نو أنه صفعها على وجهها » ، « ولكننا وجدته يستقبل الامر كأنه لا يعنيه ، ويركز كل اهتمامه على استقاء المعلومات » . ان احسان لا يعرف الحب ، ولكنه في الوقت نفسه يحسن تمثيله ، لقد تلقى درسه الاول في كيفية ممارسة الحب على يد أبيه ، الذي يبدو أن احسان كان ابنا شرعيا له بحق ، فقد قال له بعد أن رآه يبكي بسبب حبه لبنت الجيران « أعطف ولا تحب ، بهذا تقلب ميزان انقوى ويصبح في صالحك ، لقد تعلم منذ وعى الحياة أن الحب يفسد العمل ، وأنه اذا أراد أن ينجح في عمله فان عليه ان ينحى الحب جانبا ، انه في الحقيقة لا يعرف الحب ، لانه - كما تقول أشجان - « يحب مستقبله ولا شي آخر » . و « احسان » يستطيع أن يقول أشياء لا يرضى بها في أعماقه ، ما دامت ستبلغه هدفا من أهدافه ، فلا مانع عنده من ان يصافح ( القلبان ) ما دام سيشتري قلمه ، ولكن سرعان ما يسكب العطر على يديه ، ويفسلهما في تآفف وهو يقول « هانت الايام حتى يصافح احسان خادما » ، انه باختصار لا يأنف من الاقدام على أي شيء مهما كان يرفضه في أعماقه ، ما دام سيصل من ورائه الى تحقيق مكسب ما . و « احسان » الذي يتنكر لماضيه ، ويهرب منه بالسكنى في ( جاردن سيتي ) يقوم بدور الاستاذ في هذا المصمار للاخرين ، فهو كما صنع بأشجان يصنع بأخيها ( دعيس ) ، فهو يلغنه درسه الاول قائلا « اذا أردت أن تنجح فاعط القرية ظهرك » - « لا بد أن تقطع كل صلاتك بماضيك - انس الفلاحين واغانيمهم ، ومواويلهم والزراعية والمصطبة - واخلع هذا الجلباب وتخلص من اسمك » ، « من يتسمى بهذا الاسم لا يمكن أن يسمح له بالدخول من بوابة القصر » ، وهو لا يصنع كل هذا التفسير في شخصية « دعيس » من أجل صالحه ، وانما من أجل صالحه هو ، انه لا يعدو في نظره أن يكون « سلاحا من أصلاح الاسلحة التي يقتحم بها حصون الاغنياء التي ظلت مستعصية عليه زمنا طويلا » .

اما الشخصية النسائية الاولى في الرواية فهي ( أشجان ) .

والمؤلف لا يقل توفيقا في رسم ملامحها عن توفيقه في رسم شخصية ( احسان ) ، ونحن نستطيع أن نتخيل شكلها الخارجي من خلال رسم الكاتب لها بوجهها المستدير ، وشفتيها المكتنزتين ، أما التصوير الداخلي للشخصية ، وهذا هو الأهم فهي فتاة جريئة ، لا تتورع عن فعل شيء تؤكد به حريتها ، وهي تقتحم الحرم الجامعي ينطلقون أسود ضيق وبلوزة سوداء ، ومظنار أسود كذلك . بل وتخرج علبة سجائرها وتشعل سيجارة وتجذب منها نفسا ، وتنثف الدخان في وجوه الطلبة الذين حاصروها ، وكأنها بذلك ترد على تصرفهم الصبياني هذا ، متحدية جمودهم وتحجرهم ، كما تتصور . غير أنها ، وقد صادف طموحها الى تأكيد ذاتها بهذا المظهر ، هذا المسلك المريب من الطلبة ، ومسايرة المسؤولين في الجامعة في مسلكهم ذلك ، وامرهم لها بمفادرة الجامعة في الحال ، سرعان ما تعود الى طبيعتها الانثوية الضعيفة فتنهار ، وتسكب الدمع ، وهي تفادى الجامعة بعد أن قذفت بها تقاليدنا خارج الابواب . وهي - كتمليذة لاحسان - تسلك أسلوبه الانتهازي المخادع لتحقيق أهدافها ، وخاصة في الطور الاول من حياتها الذي كانت فيه واقعة كلية تحت تأثير احسان ، فهي لكي تتصل بصابر زعيم شباب الجامعة ، لتكون عين احسان تدى الطلبة ، تلعب دور الفتاة الوطنية ، ولذلك فهي ، وحتى تخاطبه باللغة التي يفهمها ، تتسلق أكتاف بعض الشباب وتهتف ، وتشعل الحماس في حناجرهم بالهتاف المدوي . ان احسان - في الواقع - قد ترك بصماته واضحة عليها ، فقد ( أصبحت لا ترى الدنيا الا من خلاله ) ، لقد استطاع ان يجعل منها فتاة عصرية تقطع صلتها بكل ما فيها حتى اسمها ، وتستخدم المساحيق بكثرة ، وترتدي البنطلون الضيق ، وتدخن السجائر ، وتحسني الخمر ، وتصادق الرجال ، وتعتنق الافكار الغربية . انها - باختصار - لم تعد الفتاة الريفية الطيبة التي هبطت القاهرة ذات يوم بكل نقاوة الريف ، فالكاتب يصورها ذات طبيعة جنسية صارخة ، تنهافت على احسان تهافتا عنيفا ، بالرغم من صده لها ، وهي حينما كانت ترقد في حجرة صابر بعد ان نقلها اليها وقد اصيبت في المظاهرة تتمعد ، وقد أحست بدخول صابر ، « ان تكون رفدتها شديدة الاغراء وأن تكشف عن ساقها الجميلين » . غير أن الطبيعة الريفية الصادقة - والتي ستنتصر في النهاية - كثيرا ما كانت تقاوم هذا الركام من الزيف ، فتحاول أن تطفو على السطح ، فهي بعد أن اشتركت « في المسيرة بقصد كسب ثقة صابر ، والحصول على المعلومات التي يريد احسان » تشعر بان على كتفها حملا ثقيل من الاحزان ، كما أن انصيق كان يضغط على صدرها ، وقد اعتصرها شعور الاحتقار لنفسها بعد اقدامها على هذا العمل الوضيع . واذا كانت أشجان تسلك مثل هذه المسالك المريبة التي تتنافى مع الطبيعة الريفية النقية ، فهي تحاول تبرير كل هذا حينما تقول لاختيها مشيرة الى تغيير اسميهما من خضرو دعبس الى اشجان وشريف « هذه هي المدينة ، خضر ودعبس في كفر السرايا ، أما هنا في القاهرة ، فلا بد من شيء آخر ، أشجان وشريف حتى نجد مكانا لنا ، انهم لا يفسحون الطريق لمن يحمل مثل أسماء دعبس وخضرة » ومما يؤيد هذا التبرير ، ويبرهن على سلامة الجوهر ، ان أشجان ووذ وجدها أخوها دعبس حين قدم اليها من القرية ، لأول مرة ، ترتدي الفستان الضيق ، تشعر شعور المرأة التي يباغتها رجل وهي عارية ، حتى انها أمسكت هذا الفستان الضيق الذي كانت تلبسه ، وكأنها تخشى أن يسقط كلية عن جسدها . والواقع أن يقظة الطبيعة الريفية تبلغ أشدها حين تشرق عيناها ، وهي تصبغ في وجه احسان ، فاضحة الدور الذي دفعها الى القيام به ، دور الجاسوسة ، الذي أدى الى اعتقال شاب وطني ، كمنير عبد اللطيف ، الكاتب الحر ، وهي تقرر الخروج - نهائيا - من أسر هذا الاستاذ الذي غير شخصيتها كما غير اسمها ، وحاول أن يطمس بكرة الخير الكامنة في أعماقها ، فتصرخ معلنة يقظة الطبيعة الريفية بشكل حاسم « سأهرب من هذه القاعة ، سأعود الى قريتي بعد أن أنتهي من دراستي ، لقد

صقت بزيكهم وخداكم ونفاقكم ، لن أبقي لحظة هنا بعد أن أفرغ من دراستي ، سأعود الى هناك لانتفس الهواء النقي ، منذ خرجت من قريتي وأنا لم أستنشق نسمة هواء نظيفة » . وهي تعلن قطع علاقتها به ، وبحياته نهائيا حينما تجري نحو حجرتها وتدخلها ، ثم تعلق الباب خلفها بالمفتاح ، انها نهاية رمزية رائعة . ويرمز الكاتب الى خروج أشجان من هذه الحياة الزائفة بكليتها ، حين يصورها وقد قررت مفادرة هذا الكهف الذي وضعها فيه احسان ، فتتناول احدى انقناب القديمة وتنفض عنها التراب ، وتخرج منها الملابس التي تركت بها القرية ، ثم تلخل البنطلون الضيق والبلوزة السوداء والملابس الداخلية الشفافة ، وتلقي بها في اذراء ، ثم ترتدي بصعوبة بالغة الملابس الداخلية الخشنة التي ضاقت عليها والجلباب المشجر القصر ، انها بذلك تعلن الخروج نهائيا من حياة المدينة ، حياة الريف والتمويه ، والارتداد ثانية الى الحياة النقية ، حياة الريف ، حياة الطهر والصفاء .

أما « صابر عبد القوي » زعيم شباب الجامعة ، فقد وصفه الكاتب بأنه ذو قامة هرقلية ، ووجه صحراوي أسمر ، هذا عن المظهر الخارجي ، أما من الداخل ، فقد صورته الكاتب لنا على جانب كبير من الخلق ، فهو يحني رأسه لكيلا يرى ساقى أشجان العاريتين ، حينما دخل عليها وهي متناومة في حجرتها بعد أن نقلها اليها حين سقطت في المظاهرة خوفا من أن تقع في أيدي رجال البوليس . وهو يتمتع بقدرة كبيرة على الاتزان وضبط النفس وكنمان ما يدور في أعماقه فهو حينما تظهر نتيجة الانتخابات ويفوز مرشحاه أشجان ومنير يبذل جهدا فوق طاقته حتى يكتم ما يدور في أعماقه من انفجالات ، كما اننا نجده يكتم عاطفته نحو أشجان ، فلا يصرح لها بحبه ، بل انه ليخشى أن يتصور زملاء المعركة أن ثمة علاقة بينهما . كثيرا ما كان يفكر في أن يجري اليها ويلقي بصدره المضطرب بأحاسيس متباينة على صدرها ويعترف لها بحبه ، وليذهب الخشن وأمثاله الى الشيطان ولكن الفكرة سرعان ما تقوب فجأة ، كما ظهرت ، فالكاتب يصوره لنا انسانا حقيقيا من لحم ودم له لحظات ضعفه ، ومن ذلك أن الخشن عندما يتمكن من هزيمته على مرأى من زملاء الجهاد الذين يضعونه في منزلة القائد ، ويجعله يقرر قطع علاقته بأشجان ، محرجا اياه أمامهم ، حتى لقد عجز عن الدفاع عن نفسه وعنهما ، نراه وقد تصلبت عضلات وجهه وزم شفتيه ، والدموع تكاد تفر من عينيه . والمؤلف كما يصوره في لحظات ضعفه ، يصوره في لحظات قوته ، فهو شجاع يعرض حياته للخطر ويقامر بمستقبله ويدخل السجن في ظلام الليل ، ويعرض على منير فكرة الهرب ، كما أنه « قوي الشكيمة ، نظرته آمرة ، وحججه مقنعة ، وكلمته فاصلة » وهو لا يفهم الحياة الا على انها تقاليد وكفاح ومبادئ ، ولهذا فهو لا يبايه في نهاية القصة بأشجان التي تعرض عليه أن يتعدا عن المدينة ، ويذهب الى القرية ليعيشا معا هناك « حيث انحياض الناس بلا أصباغ أو أفنعة » فيتركها واقفة ، ولا يرد على كلامها ، فتسأله : ماذا تصنع ؟ فيجيبها في صوت جهوري « أكتب .. أكتب ما كان يود منير أن يكتبه للناس » وعندما تذكر له أنهم سيفعلون به ما فعلوا بمنير ، يخيبها في اصرار « شيء لا يهم ، المهم أن يوجد من يقول الكلمة » وهكذا استطاع الاستاذ جلال أن يصور لنا صابر عبد القوي بشرا حقيقيا من لحم ودم ، له لحظات ضعفه ، الى جانب ما يتمتع به من قوة الشخصية ، وسمو الخلق .

أما الشخصية التي لا تنسى - بحق - فهي شخصية ( الفلبان ) كما رسمها الاستاذ جلال ، هذا المثقف البائس الذي تضطره الظروف - برغم كل علمه وذكائه - الى بيع قلمه لاحسان . وفي الحقيقة ، فان كل شخصية من هذه الشخصيات تستحق دراسة خاصة ، لقد استطاع الاستاذ جلال أن ينتقي مجموعة من النماذج الحية تمثل جيل هذا العهد أصدق تمثيل بكل ما فيه من

الذهاب الى حقولهم» وكيف أن الخاصة الملكية اشتكت من ذلك ، الامر انذي جعل العمدة يامرہ بتخطيم الناي انذي يشيع افئنة في البلاد ويهدد محصول الخاصة بالنقص .  
ونقف قليلا عند الموالم الذي غناه دعيس في شقة أخته ، انه يفني زجلا للمرحوم بيرم التونسي . . ان هذا الزجل وان كان شائعا بين أوساط المثقفين الا أنني لا أتصور أن يكون شائعا بنفس الدرجة بين الشعب لدرجة أن مفضيا ريفيا كدعيس يفنيه - كمومال - لمجموعة طلبت منه الغناء .

وهناك من الامور ما يبدو تناقضا في البناء الفني للشخصية ، ومن ذلك مسألة الشجاعة التي حطت فجأة على فاضل ، حيث عرض على صابر أن يأخذه معه لزيارة منير في السجن مع كل ما يحيط ذلك من خطر وهو الذي صرخ من لحظات منفعلا حين سمع من الخشن أن القصر يعلم بأن أحدهم يصنع اقنابل « كيف عرفوا - أنا لم أقل لأحد - لا بد انهم قادمون للقبض علي » وتصلبت عضلات وجهه في قزع .

ومن المآخذ الفنية أسلوب السرد المباشر الذي اتبعه الاستاذ جلال وهو يصور انفعالات صابر بعد أن أجبره الرفاق على قطع علاقته بأشجان ، لقد كان في وسع المؤلف أن يحول هذا الجزء الى ( مونولوج داخلي ) رائع ولكنه لم يفعل ، وبوجه عام كان في ميسور الاستاذ جلال أن يختار لروايته هذه لفة أبعد ما تكون عن هذا السرد المباشر الذي نحسه في معظم جوانب عمله هذا لفة تتسم بالشفافية والشاعرية من جهة ، والقدرة على الإيحاء والتلميح من جهة أخرى .

ومن الاشياء التي كنت أتمنى أن يتره الاستاذ جلال فلمه عنها استعمال « الجنس » لغير ضرورة فنية . وبعد ، فان المؤلف الذي صدر له قبل هذه الرواية ثلاثة أعمال قصصية أخرى هي : الرصيف والقضبان وحارة الطيب ، اعتقد انه قد خطا بهذا العمل الأخير خطوة أخرى واسعة في طريق تطوره الفني الصاعد نحو الكمال .

القاهرة - عبد المنعم عواد يوسف



## الادب المسؤول

تأليف ريف خوري

منشورات دار الآداب - بيروت - ٢٤٠ ص

\*\*\*

لم يشأ الحظ التمس أن تتحلل عيننا فقيد الادب « ريف خوري » بهذا الكتاب « الادب المسؤول » في حياته ، لانه كتاب جمعت مقالاته بعد وفاته ، وقام على جمعها وتسييفها ونشرها دار الآداب ، فسي مائتين وأربعين صفحة ، وقدم لها الدكتور ميشال سليمان بكلمة مائة ، جامعة ، تفسر معالم الادب ومفاهيمه عند الفقيه ريف خوري . والكتاب ينطوي على أربعة أقسام :

القسم الاول : مباحث في ماهية الادب .

والقسم الثاني : من قضايا التوجيه في الادب .

والقسم الثالث : في أصول النقد .

والقسم الرابع : دراسات نقدية لبعض الآثار الحديثة .

على ان هذه الاقسام كلها - وان تفرعت المقالات فيها - فهسي تكاد تجري في شوط واحد ، ينظمها مفهوم الادب ، في عصر تعددت فيه المفاهيم ، وذهبت أفانين وضروبا !

ومن الحق القول ان ريف خوري كان معلما بارعا ، مؤثرا من معلمي الادب في جيلنا الحاضر ، وهو - وان غلبت عليه ظروف المعاش الثقيلة ، وجعلته سجين حرفة التعليم التي استبدت بأكثر جهوده -

وطنية ونقاوة هي الجوهر ، وبكل ما فيه من خسة وخيانة هي الامر العارض . وكم كان الاستاذ المؤلف موفقا حين جعل انماذج الطيبة في روايته أكثر عددا من النماذج السيئة ، فالطيبة والوطنية هي الاصل في شعبنا ، أما الخسة والخيانة فهي أشياء عارضة اذا احسنا الظن بهذا الشعب الكريم . وشخصيات الاستاذ جلال بشر من لحم ودم لهم لحظات منفعهم وشرهم ، فهم ليسوا أقياء دائما ، ولا أختيارا في كل الاحايين ، وهذه هي الطبيعة البشرية الحقة ، بكل ما تنطوي عليه من غرائب ومفارقات .

والاستاذ جلال بالاضافة الى توفيقه في اختيار الشخصيات وحسن تصويرها بديرية لا أستطيع أن أقول الا انها جيدة ، قد بلغ درجة الامتياز في بعض لقطات هذا العمل . والواقع أنه لو حافظ على هذا المستوى لاستطاع أن يقدم لنا عملا ممتازا بسهولة الى المعالم البارزة في أدبنا القصصي . خذ مثلا هذه اللفظة . . حينما يسأل احسان أشجان عن السبب انذي دعاها الى انذهاب الى الجامعة بالبنتلون ترد عليه ببساطة « كنت ذاهبة لشراء بعض أدوات الزينة ، وفكرت بعد أن خرجت من البيت في الذهاب الى الكلية لاحضر محاضرة الشريعة الاسلامية » . . ان اختيار مادة ( الشريعة الاسلامية ) بالذات هنا تعبير عن التناقض بين شخصية المرء والتعلم الذي يتلقاه . . ان العلم هنا ليس الا شيئا سطوحيا لم يمس جوهر الانسان ، أو بمعنى آخر تعبير عن انفصال العلم عن المجتمع ، فالعلم في ناحية والناس في ناحية أخرى . هناك أيضا اللفظة التي أعطى فيها احسان ورقة من فئة الخمسة جنيهات لابن الفلبان الصغير . . أن الفلبان حينما ينظر الى ابنه ليري أين وضع الورقة ، يجد الطفل قد تركها على الارض وانطلق هاربا الى خارج اشقة . . انه تعبير عن فرار الجبل الجديد ونجاته من مثل هذا الاسلوب الوضيع في التعامل ، الذي يسلكه احسان مع الفلبان . ومما استلفت نظري في هذا العمل أيضا هذا الحوار الذي دار بين الخشن واحسان حين تقابلا في النهاية . . ان الاستاذ جلال يدبره بين رجلين ضالعين في الخيانة بمهارة فائقة ، ان العبارات القصيرة العادة كانت أشبه بطلقات الرصاص السريعة المتبادلة بين عدوين ، لا بين رجلين يجلسان أمام بعضهما فاتحين صفحة من الصداقة يعلم الله انها لغير وجهه . ومن اللفتات البارعة أيضا في هذه الرواية الصورة التي رسمها المؤلف لفاضل عقب نجاح القنابل التي صنعها بنفسه ، حيث أنقأها أطلبة على جنود الشرطة فمزقتهم اشلاء وصدت جموعهم عن الطلبة المتصممين بكلية الطب . . ان الكاتب يصور كيف فر فاضل من ارض اللبذعة التي صنعتها قنابله وكيف ارتدى على كرسي في مقهى يحي النيرة ، حيث حضر اليه المعلم بنفسه لتحتيته حاملا كوب الشاي ، وقد تبين فيه أحد هؤلاء الطلبة الإبطل الذين يقاومون رجال العهد البائد .

وبعد فان لي عدة مآخذ على هذا العمل كنت أود أن يتخلص منها حتى يبلغ الكمال المنشود ، من هذه المآخذ ما يتعلق باللفة ، وصحة استعمالها ، فهناك بعض الاخطاء اللغوية والنحوية أذكر منها على سبيل المثال قوله « وأسرع الى زجاجة عطر وسكب منها على يديه وغسلها » والصحيح أن يقول : وغسلها . ومن ذلك أيضا قوله : « بدري أن الجهد الذي بذلته في الانتخابات قد أثر على أعصابك » والصحيح : بذلته ، بدون ياء . ومن ذلك قوله « الملابس الشفافة الداخلية » والانسب أن يقول : « الملابس الداخلية الشفافة » .

ومن هذه المآخذ ما يتعلق بالموضوع ، فالتطور الاجتماعي لاشجان وانتقالها من مجرد خادمة ريفية اسمها خصرة الى فتاة جامعية عمرية تذهب الى الجامعة وهي ترتدي البنتلون وتنجح في انتخابات الطلبة وتمارس هذه الحياة المتحررة ، أقول ان مثل هذا التطور الغريب لا يمكن تصويره بسهولة .

ومن الامور الغريبة في هذا العمل اتفني ، حقا ، استدعاء العمدة والمأمور لدعيس وتعنيفهما له بسبب غناكه الذي « يعطل الفلاحين عن

فقد استرق من فراغه لحظات خاطفة ، مثيرة ، سجل فيها أفكاره ومذهبه في الأدب .

وهو - برغم تجديده ، وبالرغم من انه عاصر التطورات الادبية والفكرية الكبرى المتطرفة في عصرنا - فقد استطاع أن يخط له بينها منهجا واضحا لم يحد عنه ، يمثل اتجاهه الصحيح المعتدل الذي يتمسك بالالتزامية الادبية ، وذاتيته معا ، في كل اتجاه أدبي ، مهما ذهب هذا الاتجاه .

وهو - كما أشار صاحب المقدمة - ذلك الشاعر الناقد ، والاديب البصير ، الشامخ الجبين ، المرهف الكبرياء ، الذي يرى الحياة لفزا في ضمير الناس .

وليس بمستنكر ان يجد - رثيف خوري - في الأدب ، رسالة ينبغي لها أن تتحرر من الاشكال اللغوية ، والتهاويل البيانية التي تستعبد لها ، وان تذهب الى الغاية السامية التي تتمثل في جعلها « مهمة نصالية » وان تجعل من القلم « مسؤولا اجتماعيا » حيث الادب انفتاح على الحياة .. الحياة المتحركة المتجددة دائما ، وحيث الاديب مسؤول اجتماعي يوجه الناس الى تغيير الحياة نحو الخير والجمال . من هذا المطلق تكونت عقيدة « رثيف خوري » الادبية !

التجديد والتغيير هما طبيعة الحياة ، ولذلك من الخطأ أن يتجمد الادب عند نقطة معينة ، لان في هذا التجمد موته وانقطاعه عن تيار الحياة الزاخر ! وأي مذهب - فني وأدبي أو فكري - من قديم العصور استطاع أن يقف محاولا تجميد الحياة ؟

الادب - عند رثيف خوري - رسالة اجتماعية ، وبناء متواصل في صرح الانسانية : بنقد المجتمع لانه يريد عدالة وجبا انسانيًا ، وبنقد الدولة لانه يريد اداة تسيير شؤون العامة ، لا الخاصة الممتازة . وبنقد الفكر لانه يريد فكريا علميا ، محوره الانسان ، وبنقد الادب لانه يريد عمارات تشمخ على أسس من جمالية تعطي الناس والاشياء معنى بالنسبة الى الانسان .

وللوصول الى الاصلاح الاجتماعي لا يجعل المشاكل هي الغاية ، وانما هي الوسيلة الى خدمة الانسان . والانسان هو القيمة الاجتماعية العليا ، هو الغاية القصوى ، لا النظريات ولا الانظمة ، لان هذه تشتق ، قيمتها من الانسان ، وليس الانسان قيمته منها !

والادب اليوم اصبح اشد تفاعلا مع الشعب اخذا وعطاء ، واصبحت ، لعمل الاديب وشخصيته ، صفة اجتماعية لم تكن من قبل بمثل هذا القدر من الوضوح ، لا عند الاديب ، ولا عند الجمهور . ومن هنا ، آمن رثيف خوري بان القلم مسؤول ، وان الادب مسؤول ، لان صاحب القلم بمجرد ما يكتب وينشر يفعل فعلا اجتماعيا ، وبذلك يصبح مسؤولا لدى نفوس غير نفسه ، يعبر عن المآل وأملها ، وكدها ونضالها .. مسؤولا لدى مجتمعه ، لدى شعبه ، قومه ، امته ، ولدى الانسانية بما يرتبط بالانسانية ! وغاية ذلك ان يوجه الناس الى تغيير الحياة ، التغيير الذي نحتمله ، والذي يكون ، فسي الآن نفسه ، جمالا وخيرا .

وهنا ، يصل رثيف خوري الى المفترق الدقيق في مفهوم توجيهه الادب ، اذ يقول : « اني ادين بالادب الموجه ، الموجه ! واريد ان كل ادب انما هو ، بطبيعته ، موجه وموجه معا ، بوحي من الاديب ، او بغير وعي .. ان حرية الادب واستقلال الادب ، اذا ظن معناها خلو من التوجيه فانهما وهم فارغ ، وادعاء باطل . ليست الحرية لا مسؤولية . وليس الاستقلال لا مبالاة ، ولكني اصر اقوى اصرار على ان يكون هذا التوجيه بعقل ارادي اختياري . واني اكرر اشد انكار ان يكون التوجيه للاديب بقسر واغراء او تلقين من الدولة والحزب الحاكم » . ولا شك ان هذا الرأي هو الرأي الناضج الذي وعى الحقيقة ، وانطلق الى تأييدها ، بدون ان يتأثر الا بحقيقتها !

ولئن ردد الذين ذهبوا مذهب التعصب في توجيه الادب وجعلوا الادباء « مهندسي النفوس البشرية » فان هذا يصح على شرط الا يكون هؤلاء المهندسون قد هندس لهم سلفا كل شيء ..

ويجدد رثيف خوري ايمانه واصراره بالا قيمة للاديب ان لم يكن موجها وموجها ، بقصد الاديب ووعيه ، مع بقاء الاديب حرا ، مختارا ، مستقلا .

ويرد رثيف خوري على تلك الفئة من الاجتماعيين والسياسيين الذين يتصورون ان الاديب ما دام له مذهب اجتماعي ، يجب عليه ان يدين بمذهبهم وسياستهم ، اذ في هذه الحالة يتحول التوجيه في الادب الى تلقين ، ويتحول الاديب الى شبه بقاء ، وعقله في اذنيه . والواقع الصحيح ان طبيعة الادب تقتضي التوجيه ، ولكنها لا تحتمل التلقين ، لا مادة ، ولا معنى . ولنا على ذلك امثلة وفيرة في آداب الامم التي غلبت على عقليتها وحريرتها ، فجاء ادبها ترنيلا واحدا لاغنية واحدة ، اهم خصائصها التفاهة والعقم ! ولا شيء افسد للادب من التلقين والتلقين اللذين لا تبقى معهما للادب نكهة ولا لون ، ولا تبقى معهما للاديب شخصية !

ماذا يريد - رثيف خوري - بعد هذا العرض ان نفهم من مذهبه ؟ يريد ان نوفق بين الصفة الاجتماعية للادب ، والصفة الفردية في آن واحد ، والاديب في هذه الحالة مضطر الى ان يعيش حياة منفتحة على مجتمعه ووطنه وقومه وشعبه وعصره .. حياة تطلق فيها نوافذ نفسه للمؤثرات مما يحيط به ويحدث حوله ، ثم يشفع ذلك بحياسة فيما بينه وبين نفسه ، فتكون له حيانات ، بينهما اخذ وعطاء على استمرار .. حيانات مديجتان في حياة واحدة ، هي حياته الاجتماعية الفردية .. وبذلك يتوفى شر التلقين والتلقين .

وبعبارة اخرى : ان للادب عمرا اطول من عمر هذه المذاهب الاجتماعية والسياسية ، ومحتوى الادب انساني . وقد تزول هذه المذاهب وتتحول تبعا لسنة التطور والارتقاء ، ولا يبقى منها الا محتواها الانساني ..

واي صفة نبيلة تبقى للاديب اذا تخلى عن رسالته التي تجعله سادنا للحرية في حرم العقل وهيكل الشعور ؟

والآن ، ما اجدرنا ان نختم هذه الكلمة بهذا الاستفهام الرائع ، المتوجع يرسله رثيف خوري : « اين ادبنا الذي لا يلقي القيم ، وانما يخلق القيم ؟ »

اين ادبنا الذي يؤكد مجد الانسان ، ويعطينا من هذه اللاشئبية ، والمدارات المغلقة ، والطرق المسدودة ، والنسار والرماد والوجوه السراب ؟ واين ادبنا الذي يلتزم ومع ذلك يتحرر من ترويض الاصداء ؟ رحم الله ذلك الاديب الذي سقط في ميدان الكفاح قبل ان يتم رسالته التي كان يتمنى اتمامها ! ولكن رسالته الواعية الى بقاء .. لانها لم تستمد عناصرها الا من الحقيقة ، والحقيقة باقية أبدا ؟

خليل الهنداوي

حلب

قريبا

دار الآداب تقدم

عددا من مجموعات الشعر الجديد

الجوع والقمر

للشاعر محمد عفيفي مطر



حديقة الشتاء

للشاعر محمد أبراهيم أبو سنة



نخلة الله

للشاعر حسب الشيخ جعفر